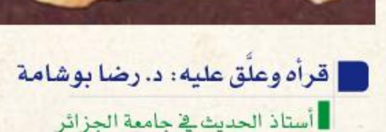
قصيدةٌ

في الرَّدِّ على أصحابِ السَّماع المُبتَدَع

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ


قرأه وعلَّق عليه: د. رضا بوشامة

أستاذ الحديث في جامعة الجزائر

فهذه قصيدة من قصائد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، أصلها سؤال ورده ضمن أبيات شعرية فيمن يتقرب إلى الله بالسماع والرقص، فكان ردُّه نظمًا، فهو كما قال الصفدي وغيره: «له أجوبة سؤالات كان يُسألها نظمًا فيجيب عنها نظمًا»[1].

وبيَّن في جوابه هذا أنَّ التقرُّب إلى الله يكون بتلاوة كلامه وسماعه، وهو ما يزيد العبد المؤمن طاعة لله ومحبة فيما عنده، إذ هو طريق الرسول ﷺ وصحابته والتابعين لهم، وأمَّا ما ابتدعه غيرُهم من السماع البدعي والرقص والضرب بالكفِّ والطبل وغير ذلك، فهو من المنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهي من سماع حزب الشيطان الَّتي تورد صاحبها المهالك وتستوجب النيران.

وهذه القصيدة لم تُنشر قبل ـ فيما أعلم ـ وهي ضمن مجموع فيه مسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، من محفوظات مكتبة أيا صوفيا بتركيا (1596)، (69أ ـ 70أ) وتقدَّم وصفُ هذا المجموع في العدد (31) من هذه المجلَّة.

⌑ ⌑ ⌑

(1) «الوافي بالوفيات» (7/ 19).

صورة المخطوط

النص المحقق

الحمد لله ربِّ العالمين.

سأل بعضُ النَّاس شيخ الإسلام ابن تيمية:

يا معشرَ الفقهاء والسادات | رُفعت لكم في الجنَّة الدرجات
ماذا تقولوا في أُناس يَرقصوا | وهم رجالٌ خَيِّرون ثقات
فأنا أخبركم على ما يرقصوا | بالدُّفِّ ثم الكفِّ معْ أصوات
يستفتحون سماعَهم بقراءة | بالذِّكر والتَّسبيح والزَّفرات
وإذا انتهوا في وَجْدِهم وسماعِهم | خَتموا السماعَ بفاضل الدَّعوات
يتجنَّبون المُحدَثات بأسرِها | ما فيه من حَدَث[1] ولا قَينَات
أيَضرُّهم هذاك عند إلههم | أم يُوجبُ النِّيرانَ واللَّفحَاتِ
أم يُنسبوا للكفرِ من بين الملا | أم دينُهم باقٍ لهم بثَبات
أم ذلك الوَجْدُ المعيَّن بدعةٌ | وردت في الأخبارِ والآيات
في أيِّ آيات الكتابِ سمعتمُ | أنَّ التَّواجد يُذهب الحسَنات
أيُّما أَجَلُّ: الوَجْد في مذهبكم | أم أَكل لحم النَّاس بالغيبات؟
باللهِ أفتونا بما أدليتمُ | عِلما وبَرهنةً عن الشُّبهات

* أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ:

يا سائلينَ عن الطريق المرتضَى | السَّالكين طرائق الخيرات
القاصدين رِضَى الإله ودينَه | العابدين لمُنزِلِ الآيات
التَّابعين المصطفى خيرَ الورى | والمقتَفِين مسالكَ السَّادات
الطالبين سَبيلَ أرباب الصَّفا | أهلِ الهدى والصِّدق والإخبات
وذوي المحبَّة للإله مليكنا[2] | أهلِ الإرادة في سبيل نجاة
قد قال خالقُنا كلامًا بيِّنًا | بَانَ الطَّريقُ به من الشُّبهات
إن كنتَ يا عبدي مُحبًّا مخلصًا | فرَسولي الهادي إلى مرضاتي
فأنا المحبُّ لمن يُتابع أحمدًا | لستُ المحبَّ طرائقَ البِدْعات[3]
وسماعُه وسماعُ أتباعِ له | هو سمعُ قولي مُحكم الآيات
وهو السَّماع لكلِّ عبدٍ صالح | وبه تُنال جميعُ محبوباتي
وهو الَّذي كان النبيُّ وصحبُه | والتَّابعون لهم على الخيرات
يَجدون فيه مَواجد الحبِّ الَّذي | يعلو عُلوًّا عالي الدَّرجات

فسماعُ قول الله من[4] تنزيله ... بابُ الهدى ومقدَّمُ الطَّاعات
وهو السَّماع سماعُ أرباب التُّقى ... وسماعُ أهلِ الدِّين والقُرُبات[5]
وهو الذي مَن فاتَه حُرم الهُدى ... وغدا عَونًا تابعًا لِغُوَات
مستوجبًا لعذاب نار جهنَّم ... مَعْ حزب شيطانٍ وجمع طُغات
هذا السَّماع يُنيلُ صاحبه الرَّدى[6] ... يَبغِي الوصولَ لأكبر الحالات
ممَّا أنال الرَّبُّ أهلَ وَلائه ... الواجدين مَواجد السَّادات
أهلَ المحبة للإله ودينه ... ورسوله المبعوث بالآيات
أهلَ الصَّفاء المصطفين مِن الورى ... القائمين بواجب الطَّاعات
أمَّا سَماعُ العازفات فكلُّها ... والنفخُ في المزمار والقَصبات
والضَّربُ بالكفِّ المصَفِّق والغِنَا ... والرَّقصُ عند مَناكِر الأصوات
فمِن الأمور المبدَعات بلا هُدى ... قد جاء في هذا مِن الآيات
لم يأمر الرَّبُّ الكريم بذاكمُ ... كلَّا! ولا قد جاء في الطَّاعات
لا أَمرُ فرضٍ لا، ولا فضلٌ ولاَ ... شَرعُ النبيِّ لهذه الفعلات
والقربُ مِن ربِّ السموات العُلى ... لا ينبغي إلا بذِي الطاعات
إمَّا بفرضٍ واجبٍ يؤتى به ... أو مستَحَبٌّ يرفع الدرجات
فمتَى يكن هذا السماعُ المبتغي ... مِن غير[7] دينٍ جامع القرباتِ
كان السلوكُ به ضلالاً بيِّنَا ... عن طُرُق أهل الدِّين والخيراتِ
وسلوك صاحبه به نحو العُلَى ... يَهوي به في ظلمة الدَّركات
مثل التقرُّب بالصلاة لمشرِق ... وبغيرها من سائر البِدعات
فالربُّ جلَّ جلاله لا يُبتغى ... رضوانُه إلا بسُبُل نجاة
لا يُبتغى رضوانُه بعبادة ... لسواه كالآتي بقصد اللاَّت
وكذاك لا إلا بطاعة رُسْله ... للمبتغي للفضل والمرضات
فالله يهدينا جميعا للَّذي ... يختاره في سائر الحالات
والحمد لله الكريم الهادي ذي ... الفضل والإحسان والبركات

تمَّت، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

(1) في الأصل: (ما فيهم حدث)، وكتب فوقها: «ح» ومن تحتها: «فيه من حدث»، ولعله الأصوب.
(2) في الأصل: (إلهنا)، وكتب فوقها: «خ مليكنا».
(3) يشير إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [سورة آل عمران].
(4) في الأصل (في)، وكتب فوقها: «من».
(5) كتب فوقها: «البركات».
(6) في الأصل: (الذي)، وكتب فوقها: «الرَّدى»، وهو الصواب.
(7) في الأصل: (عند)، وكتب فوقها: «غير»، وهو الصواب.